

شرح

حَمَائِدُ ابْنِ أَبِي قَلَوْبٍ

فضيلة الشيخ

أ. د. عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين بن البخاري

حفظه الله



miraath.net

ميراث النبيا

Miraath.Net

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يُقدم لكم
تسجيلاً لدرسٍ في شرح:

حائبة ابن أبي داود - رحمه الله تعالى -

ألقاه

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:

عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

- حفظه الله تعالى -

بداية من يوم السبت السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٤٤١ هجريا

إلى يوم الخميس الثاني من شهر ذي الحجة، بجامع الخندق بالمدينة النبوية.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع.

المدرس الأول
ميراث الأنبياء

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء: ٦١،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ
يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الاحزاب: ٧٠ - ٧١،

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ - تَعَالَى -، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ -، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعْدُ:

أها الأخوة: نشرع في هذه المذاكرة العلمية في شرح حائية الإمام ابن أبي داود - رحمه الله

تعالى -، وقبل أن نبدأ نذكر بأمرين اثنين يتعلقان بهذه الدورة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• وهي ضرورة العناية من جميع الإخوة الحاضرين بالتزام بما تنص عليه الجهات المعنية بخصوص الاحتياطات اللازمة في هذه الجائحة، نسأل الله -جل وعلا- أن يدفع وأن يرفع هذا البلاء عن جميع بلاد المسلمين إن ربنا لسميع الدعاء.

• والأمر الثاني: متعلق أيضًا حين انتهاء الدرس أو اللقاء بالانصراف كما هو معتاد من غير تراحم أو نحو ذلك مما قد يسبب إشكالاً لدى الجهات المختصة، وفقكم الله وسددكم.

وهذه الحائيّة؛ الكلام عن هذا المؤلف الذي سنشرحه من جهتين قبل البدء في شرح

أبياتها:

• الناحية الأولى أو النقطة الأولى: متعلقة بالمؤلف نفسه:

وهذه الحائية أو هذا النظم هو عبارة عن قصيدة في اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ والدليل

على هذا أن الإمام الناظم قال في خاتمتها: "هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل، وقول من

أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك ممن بلغنا قوله، فمن قال عليّ غير هذا فقد كذب"

فهو ينص -رحمه الله- على ما أدركه من مشايخ العلم وأئمة السنة في عصره وفي وقته،

ولا شك أن إمام أهل السنة في ذلكم الوقت هو الإمام المَبْجَل: «أحمد بن حنبل» -رحمه الله

ورضى الله عنه-، هكذا ورد النص في نسخة النظم التي أخرجها «الإمام الآجري في الشريعة»،

وفي نسخة «ابن الشاهين في كتابه اللطيف في شرح مذاهب أهل السنة»، وهي كذلك في

«طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى».

لكن جاء في آخر نسخة ابن البنا التي شرح عليها هذا النظم في كتابه الأصول المُجَرَّدَة؛

قال: "هذا مذهب أحمد بن حنبل، ومذهبي، ومذهب أبي-رحمهم الله وإيانا-".

وفي نسخة العلو للحافظ الذهبي -رحمه الله- لأنه ذكر القصيدة هناك وأسندها؛ قال في

خاتمة النظم: "هذا قول أبي، وقول شيوخنا، وقول العلماء ممن لم نرهم كما بلغنا عنهم، فمن

قال غير ذلك فقد كَذَب"؛ في هذه النسخة ليس فيها تنصيب على الإمام أحمد، لكنه يدخل في

جملة من ذكره بقوله: "شيوخنا"؛ "وقول شيوخنا".

وفي نسخة كتاب العرش للحافظ الذهبي -رحمه الله- أنه قال في خاتمتها: "هذا قولي،

وقول أبي، وقول شيوخنا، وقول من لقيناهم من أهل العلم، وقول العلماء ممن لم نرهم كما

بلغنا عنهم، فمن قال غير ذلك فقد كَذَب".

عمومًا هذه الألفاظ تدل على معنى واحد وهو: أن هذا النظم هو على اعتقاد أئمة أهل

العلم، وأئمة السنة، وعلى رأسهم في ذلكم العصر الإمام أحمد -رحمه الله-، وتلميذه الإمام أبو

داود، ومن كان معهم في ذلكم القرن، أو في ذلكم الزمان ممن أدركهم ابن أبي داؤود، ومن لم

يدرك من أهل العلم؛ وهو مذهب أهل الحق عمومًا.

هذا النظم -بارك الله فيكم- تضمّن أبياتًا عظيمة في اعتقاد أهل السنة؛ وبخاصة فيما

جرى حينها من الخلاف بين أهل السنة والجماعة والمخالفين لهم من أهل الأهواء والبدع؛ مما

سيرد بيانه بإذن الله -تعالى-.

ثم إن هذا النظم ثابتٌ النسبة للإمام أبي بكر بن أبي داود؛ للأدلة التالية:

◀ أولاً:

أن جمعًا من تلامذة الإمام أبي بكر ابن أبي داؤود أثبت لها؛ أثبت جمع من أهل العلم من طلاب وتلامذة أبي بكر ابن أبي داؤود؛ أثبتوا هذا النظم للإمام ابن أبي داؤود، قال الإمام الآجري؛ وهو من طلابه في كتابه الشريعة؛ قال في خاتمة الشريعة، قال: "وقد كان أبو بكر ابن أبي داود أنشدنا قصيدة قالها في السنة، وهذا موضِعها -يعني: سأذكرها الآن-؛ فأنا أذكرها ليزداد أهل الحق بصيرة وقوة إن شاء الله -تعالى-" ثم ساقها -رحمه الله-.

وجاء في كتاب آخر كتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة للحافظ أبي حفص بن شاهين؛ وهو من طلابه أيضًا، قال: "قال أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث شيخنا: هذه القصيدة في نفسه، وجعلها محنته" ثم ساقها -رحمه الله-.

فهذان من طلابه؛ وهما من أئمة العلم يثبتانها له بالإسناد.

◀ الأمر الثاني:

أن جمعًا من الحفاظ قد روى هذه القصيدة بسنده إلى الإمام أبي بكر بن أبي داود؛ من هؤلاء الحفاظ: الحافظ «ابن البناء أبو علي الحسن بن أحمد»؛ المتوفى سنة واحدٍ وسبعين بعد الأربعمائة من الألف، قال في خاتمة شرحه للنظم: "وقد رواه من طريق أبي طالب محمد بن علي بن أبي الفتح، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان، عن أبي بكر بن أبي داود" فساقها بتامها.

كذلك القاضي «أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الحنبلي»؛ المتوفى سنة ستٍ وعشرين وخمسةائة من هجرة النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ كما في طبقات الحنابلة، قد ساقها من طريق عُبَيْدِ اللَّهِ الفقيه؛ وهو الإمام ابن أبي بطة؛ فقال: **"أنشدنا أبو بكر ابن أبي داود من حفظه لنفسه"** ثم ساقها.

◀ **ثالثاً:**

الحافظ الناقد «أبو عبد الله الذهبي»؛ فقد أسندها -رحمه الله- في كتابه العلو، وفي مختصره، وكذلك هي في السِّير من طريق «الحسين بن علي بن عبد الله الطناجيري»، عن «أبي حفص عمر ابن عثمان ابن شاهين»، قال: **"قال شيخنا أبو بكر عبد الله بن سليمان هذه القصيدة، وجعلها محنته"** فساقها بتمامها، والطناجيري هذا هو: راوي كتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة لأبي حفص ابن شاهين.

فقول بعض المعاصرين ممن تكلم حول هذه القصيدة، وقال: **"أنه ذكرت في كتاب اللطيف لابن شاهين، وألحقها أحد النُّسَاح المتأخرين"**؛ هكذا يقول: أنه **"ألحقها أحد النُّسَاح المتأخرين"**؛ هذا القول غير صحيح، لم تُلحق بكتاب اللطيف من إلحاق بعض النُّسَاح، بل هي من كتاب اللطيف؛ أوردها الحافظ ابن شاهين في خاتمة كتابه، والدليل على هذا: رواية الحافظ الذهبي -رحمه الله- لهذه القصيدة من طريق راوية اللطيف عن الإمام ابن شاهين -رحمه الله-؛ من طريق ابن شاهين عن شيخه أبي بكر بن أبي داؤود، وكونه أرجأها إلى آخر الكتاب لا تعني أنها مُلحقة؛ كونه أوردها في آخر الكتاب لا يعني أنها مُلحقة، فكذلك هي وردت في آخر الشريعة للأجري؛ فهل يقال إذن أنها ملحقة بالشريعة للأجري؟ ليس كذلك.

الأمر الثالث مما يدل على إثبات هذه النسخة، أو هذه القصيدة للإمام أبي بكر: أن الذهبي -رحمه الله- قال في العلو بعد أن أسندها: "هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الأجري، وصنف لها شرحًا، وأبو عبد الله بن بطة في الإبانة"، لم أقف عليه في المطبوع من الإبانة، ولعل المراد ما ساقه الإمام ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة، فالله أعلم.

وفي كتاب العرش له، بعد أن جاء وذكر جملة من أبياتها؛ قال الذهبي: "روى هذا الاعتقاد والإجماع عنه غير واحد منهم: ابن بطة في الإبانة، والأجري؛ وصنف كذلك شرحا" وساقها -رحمه الله-؛ الذهبي أعني، بالتامة في موضع آخر من كتابه العرش؛ لكنها غير مسندة.

وأورد أيضًا طرفًا؛ ناسبًا إياها لأبي بكر بن أبي داؤود، طرفًا من الأبيات، أورد طرفًا منها لأبي بكر بن أبي داؤود الحافظ محمد بن محمد بن علي الطائي؛ المتوفى سنة خمس وخمسين بعد الخمسمائة من هجرة النبي -عليه الصلاة والسلام- في كتابه الأربعين الطائية.

كل هذا الذي ذكرناه يُثبت صحة نسبة هذا النظم لناظمه: الإمام أبي بكر بن أبي داود -رحمه الله-، يجب أن يكون ليس أي كتاب يوجد في الأسواق، أو أي مخطوط تقع عليه عينك أو يدك يعتبر صحيح النسبة إلى من كُتِبَ في غلافة أنه له، ثمّة طرائق لإثبات صحة النسبة، فثمّة كتب مطبوعة لا تصح نسبتها إلى مؤلفيها؛ ومن ذلك: كتاب ما يتعلق بالإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-؛ أحكام تمنى الموت؛ وهذا لا يصح نسبه إلى الإمام المجدد -رحمه الله- لما فيه من اعتقادات تنافي ما سطره الإمام في كتاب التوحيد، وفي كتبه النافعة الأخرى وهكذا.

اعتنى أهل العلم بهذا النظم كثيراً؛ كما أشار إلى هذا الذهبي فيما تقدم، وشرحوه: الآجري، وابن بطة، وغيرهم، وابن البناء؛ كما تقدم أيضاً، وكتابه مطبوع في مجلد أو في رسالة لطيفة، وتوسع العلامة السفاريني - رحمه الله - الحنبلي في شرحه في كتابه: «لوائح الأنوار السنّية ولوائح الأفكار السنّية شرح قصيدة ابن أبي داؤود الحائية»؛ وهو أوسع شروحها فيما أعلم والله أعلم، وهو مطبوع أيضاً، وغيرهم من أهل العلم.

✽ الأمر الثاني: ما يتعلق بمؤلف النظم:

هذا الإمام قد ترجم له الجماعة من الحفاظ، وأثنى عليه جمع منهم، وعلى أنه واسع الحفظ؛ قال الخطيب في تاريخ بغداد: "رحل به أبوه من سجستان يطوف به شرقاً وغرباً، وسمّعه من علماء ذلك الوقت فسمع بخرسان، والجبال، وأصفهان" ثم ذكر جملة من المدن، والمواطن، والمواقع، ثم قال: "واستوطن بغداد، وصنف المسند، والسنن، والتفسير، والقراءات، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، وكان فهِماً عالماً حافظاً".

ووثّقه الإمام الدارقطني - رحمه الله -، وفي لفظ للدارقطني قال: "ثقة، إلا أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث"، أما تلميذه ابن شاذان؛ أحد رواة هذا النظم، فقال: "قدم أبوبكر ابن أبي داود إلى سجستان، فسألوه أن يحدثهم، فقال: ما معي أصلٌ -يعني: أحدثكم من كتاب-، قالوا: ابن أبي داود وأصلٌ؟! -يعني: يحدث أيضاً من أصل؛ يعني: ما يحفظ، قال: فأثاروني، فأملت عليهم من حفطي ثلاثين ألف حديث"؛ ذكر هذا الحافظ الذهبي - رحمه الله - في السّير؛ وفيه أيضاً أن تلميذه ابن شاهين قال: "أملى علينا ابن أبي داود سنين، وما رأيت بيده كتاباً، إنما كان يملي

حفظاً، فكان يقعد على المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه درجة ابنه معمر بيده كتابٌ فيقول له: حديث كذا؛ فيسرده من حفظه حتى يأتي على المجلس "أي: كاملاً.

أثنى عليه جماعاتٌ - كما قلت - من أهل العلم:

قال الحافظ أبو محمد الخلال: "كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسندٌ منه، ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ هو".

وقال الحافظ الخليلي - رحمه الله - في الإرشاد: "الحافظ الإمام ببغداد في وقته، عالمٌ متفقٌ عليه، إمامٌ ابن إمامٍ، له كتاب المصابيح، شارك أباه بمصر والشام في شيوخه - وعدد جملةً منهم، ثم قال - واحتج به من صنف الصحيح أبو علي الحافظ النيسابوري، وابن حمزة الأصفهاني، وكان يقال: وأئمةٌ ثلاثةٌ في زمان واحد ابن أبي داود ببغداد، وابن خزيمة بنيسابور، وابن أبي حاتم بالري".

أما الحافظ الذهبي - رحمه الله - في السير قال: "الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد صاحب التصانيف" ثم ترجم له، وبعد أن ذكر أنه أخطأ - رحمه الله - في نقلٍ نقله عنه؛ قال الذهبي معلقاً على هذا الخطأ: "قد أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله خطأ؛ وله على خطئه أجرٌ واحد، وليس من شرط الثقة ألا يُخطئ ولا يغلط ولا يسهو، والرجل؛ فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ - رحمه الله -".

وفي الميزان؛ ميزان الاعتدال لما ذكره وترجم له، قال: "وما ذكرته إلا لأنزهه" أي: ما قيل

فيه.

وفي العلو قال -رحمه الله- بعد أن سرد القصيدة: "كان أبو بكر من الحفاظ المبرزين، ما هو بدون أبيه، صنف التصانيف، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد".

وهنا إيراد وجوابه :

قد يقول قائلٌ: كيف التوفيق بين ما ذكرته من ثناءات لبعض الحفاظ والعلماء، وبين ما جاء في الكامل لابن عدي -رحمه الله-؛ أن ابن عدي قال: "سمعت علي بن عبد الله الداهري، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عمرو بن كُرْكَرَه، قال: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، قال: سمعت أبا داود السجستاني يقول: ابني عبد الله كَذَّاب، قال ابن الصاعد: كفانا ما قال فيه أبوه" كفانا؛ يعني: أمره ما قال فيه أبوه، انتهى من الكامل لابن عدي.

الجواب عن هذا :

أقول: قال الحفاظ ابن عدي -رحمه الله- في ختم ترجمة ابن أبي داؤود من الكامل، قال: "هو مقبولٌ عند أصحاب الحديث، وأما كلامُ أبيه فيه فلا أدري إيش تبين له منه" يعني: ما الذي تبين لأبي داود فقال في ابنه هذا. انتهى

وقد أفاض العلامة المحقق الناقد: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني -رحمه الله-، أفاض في الدفاع عن الإمام أبي بكر بن أبي داود فيما قيل فيه؛ إن كان من حيث قول أبيه، أو مما رُمِيَ بالنصب؛ فأفاض في الدفاع عنه -رحمه الله-، فأحسن وأنصف؛ فمما قاله ناقدًا: ما أورده ابن عدي في الكامل، وعلى تعليق ابن صاعد، قال -رحمه الله-: "قال الداهري -الذي يروي عنه ابن عدي- وابن كُرْكَرَة: لم أجد لهما ذكرا في غير هذا الموضع، وقول ابن صاعد: ما قال فيه أبوه؛ إن

أراد هذه الكلمة - يعني: كذاب - فإن كانت بلغته - بلغت ابن صاعد - بهذا السند - يعني: سند ابن عدي - فلا نعلمه ثابتًا، وإن كان له مستند آخر فما هو؟! وإن أراد كلمةً أخرى فما هي؟! إلى أن قال: "فالكلمة لم تثبت" أو "لم تثبت الكلمة"، ثم قال: "وقال ابن عدي: سمعت عبدان يقول: سمعت أبا داود السجستاني يقول: ومن البلاء أن عبد الله - يعني ابنه - يطلب القضاء".

قال الشيخ العلمي: "كان أبو داود على طريقة كبار الأئمة من التباعد عن ولاية القضاء، فلما طلبه - طلب القضاء يعني - ابنه كره ذلك، ومن الجائز - إن صح - أنه قال: كذاب؛ قال: "إنما يكون أراد الكذب في دعوى تأهله للقضاء، والقيام بحقوقه"، قال الشيخ العلمي: "ومن عادة الأب الشفيق إذا رأى من ابنه تقصيرًا أن يبالغ في تقييده" انتهى كلام الشيخ.

وثمة توجيه آخر قاله الذهبي - رحمه الله -؛ قال: "قلت لعل قول أبيه - إن صح - أراد الكذب في لهجته لا في الحديث؛ فإنه حجة فيما ينقله، أو كان يكذب ويورّي في كلامه، ومن زعم أنه لا يكذب أبدًا فهو أرعن، نسأل الله السلامة من عثرة الشباب، ثم إنه شاخ وارعوى، ولزم الصدق والتقى".

قال محمد بن عبد الله بن الشخير: "كان ابن أبي داود زاهدًا، ناسكنا، صلى عليه يوم مات نحو من ثلاثمائة ألف إنسان أو أكثر" انتهى كلامه.

الخلاصة:

أن الإمام أبا بكر بن أبي داود إماماً من أئمة أهل السنة والجماعة، وهذا نظمٌ ثابتٌ له، قال شيخنا ووالدنا سماحة الشيخ العلامة المحدث الفقيه عبد المحسن بن حمد العباد البدر - حفظه الله - في قطف الجنّي الداني، قال: "وما أحسن ما قاله الإمام ابن الإمام عبد الله بن أبي داود السجستاني في مطلع منظومته الحائية" فذكرها؛ أي: ذكر جملة من ذلك.

توفي - رحمه الله -: سنة ست عشرة وثلاثمائة من هجرة النبي - عليه الصلاة والسلام -، وله ستٌ وثمانون سنة، غفر الله لنا وله، نقف عند هذا كما أشار الإخوة.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث الأنبياء

وجزاكم الله خيراً.

سیرت النبیین

سیرت النبیین